إِذَا أَتَـــتِ الْإِسَـــاءَةُ مِـــنْ وَضِـــيـــعٍ
وَلَـــمْ أَلُـــمِ الْـــمُـــسِـــيءَ فَـــمَـــنْ أَلُـــومُ؟[١]

صدق الورد

قال يمدح في يوم الجلسان وقد نثر عليهم الورد وهم قيام بين يديه حتى غرقوا فيه:

[المنسرح]

قَـــدْ صَـــدَقَ الْـــوَرْدُ فـــي الَّـــذِي زَعَـــمَـــا
أَنَّـــكَ صَـــيَّـــرْتَ نَـــثْـــرَهُ دِيَـــمَـــا[٢]
كَـــأَنَّـــمـــا مَـــائِـــجُ الْـــهَـــوَاءِ بِـــهِ
بَـــحْـــرٌ حَـــوَى مِـــثْـــلَ مَـــائِـــهِ عَـــنَـــمَـــا[٣]
نَـــاثِـــرُهُ الـــنَّـــاثِـــرُ الـــسُّـــيُـــوفَ دَمـــاً
وَكُـــلُّ قَـــوْلٍ يَـــقُـــولُـــهُ حِـــكَـــمَـــا[٤]

---

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٤. يرى الشاعر أن من حقّه أن يصبّ نار هجائه على لئيم وضيع النسب أساء إليه فلا بدّ له من أن يشفي ما في نفسه من غضب وحنق عليه، لذا فعليه أن يوجّه إليه كلّ أسلحته المدمّرة.

(٢) الديم، الواحدة ديمة: المطر الدائم في سكون. يرى الشاعر أن الورد صادق في مقولته من أن الأمير لكثرة ما نثر من الورود في المكان وعلى شاغليه، فإذا بالمنثور كأنه مطر دائم يسحّ عليهم برقّة وسكون.

(٣) وردت الأبيات الخمسة التالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥١. يروى «مازج» بدلاً من «مائج». العنم: شجر ذو ثمرة حمراء يشبه به بنان النساء المخضوب. يتابع الشاعر رسم صورة المجلس، فقد تناثرت الورود تاركة عطرها ينفث أريجه وعبيره في ذلك الجوّ البديع، فإذا ببحر من حمرة تسبح به العيون وهي في حيرة حيثما التفتت الأنظار أين يُمكن أن تستقرّ.

(٤) يمدح الشاعر ممدوحه، إنه مرفّه بما نثره من الورود، ويدلّ ذلك على ذوق رفيع، وهو في نفس الوقت شجاع بطل ينثر سيوفه في أعدائه وقد لطّخت بدمائهم، كما أنه يمتاز بالحكمة، فأقواله حكم تنمّ عن تجربة وحصافة لديه ومعرفة في شتّى شؤون الحياة.

وَالْخَيْلَ قَدْ فَصَّلَ الضِّيَاعَ بِهَا
وَالنِّعَمَ السَّابِغَاتِ وَالنِّقَمَا[١]
فَلْيُرِنَا الْوَرْدُ إِنْ شَكَا يَدَهُ
أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ جُودِهِ سَلِمَا[٢]
فَقُلْ لَهُ لَسْتَ خَيْرَ مَا نَثَرَتْ
وَإِنَّمَا عَوَّذَتْ بِكَ الْكَرَمَا[٣]
خَوْفاً مِنَ الْعَيْنِ أَنْ يُصَابَ بِهَا
أَصَابَ عَيْناً بِهَا يُصَابُ عَمَى[٤]

لا يسلم الشرف الرفيع

مر في طريقه على إسحاق بن الأعور بن إبراهيم بن كيغلغ وكان محافظاً على طريق طرابلس فطلب منه أن يمدحه، فاحتج بأنه قد حلف أن لا يمدح أحداً في الطريق فاعتاقه إسحاق عن طريقه، ولما فارقه قال يهجوه ويمدحُ أبا العشائر بهذه القصيدة وقد حذفت منها أبيات:

[الكامل]

لِهَوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ
عَرَضاً نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ[٥]

---

(١) السابغات: التامّات. يُردف الشاعر مدحه لممدوحه؛ لقد جعل من خيوله سبيلاً لوحدة وجمع تلك الديار التي أخضعها بسيوفه، فنظمها إقطاعات يقوم على رعايتها والعناية بأمور مواطنيها. لذا فقد أسبغ عليهم من نعمه، فهم في بحبوحة من العيش، وفي المقابل أذاق أعداءه صنوف العذاب ألواناً، فانتقم منهم أشدّ انتقام؛ كلّ ذلك بفضل تلك الخيول والجيش العظيم.

(٢) يُحاول أن يستدرّ مال ممدوحه، يستحسن الشاعر نثر الممدوح ورده وقد شكا منه الإسراف في ذلك، فإذا به يُثير فيه حاسة الجود، فلينثر دنانيره وذهبه على الشاعر، فتكتمل الفرحة ويعمّ السرور المكان.

(٣) و (٤) عوّذه رقاه رقية لدفع الأذى عنه. يرى الشاعر أن ما نثرته يد ممدوحه من ورود، فليس أفضل ما نثرت، وإنما يقصد به دفع عيون الحاسدين وقاية لكرمه الحقيقي، فلو رأوه يجود بالأموال بكثرة لانصبّت عيون الحاسدين تبغي ضرره، فلْتعم عيونهم.

(٥) يروى «القلوب» بدلاً من «النفوس». السريرة: السرّ. عرضاً: فجاءة. يبدأ الشاعر =